Sultan Qaboos University
Journal of Arts & Social Sciences

جامعة السلطان قابوس
مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

التلقي العربي لنظرية «البلاغة الجديدة» لـ «ش بيرلمان» و«أ. تتيكا» منجزات الباحثين وانتظارات القراء

بشير دردار
أستاذ محاضر
قسم اللغة والأدب العربي
معهد الآداب واللغات
المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي
تيسمسيلت (الجزائر)
bacderdar@gmail.com

تاريخ الاستلام: ٢٩/١٠/ ٢٠١٧
تاريخ القبول للنشر: ٢٠/١٠/ ٢٠١٨

المجلد (١٠) العدد (١)، ابريل ٢٠١٩

التلقي العربي لنظرية «البلاغة الجديدة» لـ «ش بيرلمان» و«أ. تتيكا» منجزات الباحثين وانتظارات القراء

بشير دردار

الملخص:
يطرح التلقي العربي للمناهج النقدية الغربية إشكالات كثيرة وعويصة، لا زال المختصون عاجزين عن معالجتها وتجاوزها. يصدق هذا على مجال العلوم الإنسانية، كما يصدق على غيرها. ويمثل تلقي نظرية «البلاغة الجديدة» نموذجا لهذه المعضلة. فعندما نفحص مجمل عناصر هذا التلقي من كرونولوجيا التفاعل الترجمي، وإنتاجاته في مجال المصطلح، والاسترشاد النظري والتطبيقي، يتجلى لنا حجم المشكلة. ومع ذلك فالذي يميز التفاعل من نظرية «البلاغة الجديدة» هو انطواؤها على عناصر تيسِّر إلى حد ما عمل الباحثين المتفاعلين معها؛ ونعني بذلك تحديدا ما تحمله هذه النظرية من اهتمام بالتراث. ويمكن التمثيل لهذه المشكلات بما يأتي: اقتراح البدائل العربية/ التعدد والتبعثر واختلاط الأنساب المفاهيمي، الارتهان المعجمي للغة المصدر، إهمال البعد السوسيو- ثقافي في عملية الترجمة، إهمال المقاربة النصية في عملية وضع المصطلح البديل. وهي المشكلات التي يرصدها هذا المقال في أشكال ثلاثة أخذها التلقي العربي لنظرية البلاغة الجديدة؛ وهي: التعريف بنظرية «البلاغة الجديدة»، والاستدعاء التنظيري، والاسترشاد المفاهيمي في التطبيقات النقدية.

الكلمات المفتاحية: الترجمة - المصطلح - البلاغة الجديدة – التلقي – التراث.

Arab reception of the theory of the new rhetoric of C. Perelman and L. Tyteca. achievements of researchers and expectations of readers

Bachir Derdar

Abstract:
The Arab reception of Western critical methods poses an infinite number of thorny problems, which the specialists are still unable to solve. This is applied in the human sciences field and also in other fields. The reception of the new rhetoric theory can serve as an illustrative example of this civilizational and cultural problem, because the examination of all the elements of this reception (the chronology of interaction through translation, terminology production, transfer of concepts and their integration, theorical and practical guideness) reveals the importance of the problem. In spite of this remark, the reception of the new rhetoric theory is distinguished by the concealment of some constitutive elements that have facilitated the tasks of the concerned Arab researchers, specifically the interest it gives to the rhetorical heritage. The problems mentioned are: Arab equivalents / plethora and dispersion, lexical dependence of the source language, neglect of the socio-cultural dimension, neglect of the textual approach in the translation of terms. These problems are referred to in this article, in three forms of reception: the presentation of the theory, the theoretical recall, and the conceptual support in the practical studies.

Keywords: translation, term, new rhetoric, reception, heritage.

المقدمة:

لا زال التلقي العربي للمناهج النقدية الغربية يطرح إشكالات كثيرة وعويصة، لا يجد المختصون الكيفية المناسبة لمعالجتها وتجاوزها، بسبب الضغط الذي تسلطه عليهم وتيرة تلقي هذه المناهج المتجددة باستمرار في بيئاتها الأصلية. فلا تكاد أطروحة نقدية تتبلور وتستقر، حتى تحل بالساحة أطروحة تعترض عليها بصورة من الصور، أو بدرجة من الدرجات، في إطار ما دأب عليه القوم هناك من تعاط حواري لا يتوقف مع إنتاج المعرفة وتداولها. وكان من نتائج الكم الهائل من الإصدارات التي تقذف بها المطابع يوميا، والتي يتم استهلاكها بالسرعة نفسها التي تنتج بها، أنْ وجد العرب أنفسهم حيال رهانات لا قبل لهم بمواجهتها. ولّدت هذه الظاهرة عندنا عجزا مزمنا عن متابعة التطور السريع للنظريات والأطروحات في حقول المعرفة كلها، ولا سيما في الشق المتصل بنقلها إلى اللغة العربية؛ قصد إتاحة التفاعل الواسع معها للباحثين والطلبة وأهل الاختصاص، وضمان تحيين التمكن المعرفي والمنهجي من موضوعات البحث محل الاهتمام عندنا. وإذا أردنا التمثيل لهذه الإشكالات وما يتولد عنها من عوائق، يكفينا أن نجري إحصاء لما تمت ترجمته في حقل تخصصي معين، ونفحص على التحديد الفوارق الزمنية بين تواريخ صدور المنشورات في لغاتها الأصلية، وبين تواريخ ترجمتها إلى اللغة العربية (عصفور، ١٩٩٨: ٩٥).

لا شك أن معضلات التلقي العربي المعاصر للمناهج الغربية في مجال اللغة والنقد وتحليل الخطاب، ترجع في القسم الأكبر منها إلى بطء وتيرة الترجمة، وهو ما يؤدي إلى قصر التفاعل مع الآخر على قلة قليلة من الباحثين مزدوجي اللغة أو متعدّديها. ولكن أدواء التلقي ومعوقاته لا يمكن بأي حال حصرها في هذا الجانب. فحتى الترجمات التي تنجز ويُتوَجه بها إلى القارئ العربي، لا تخلو مما يعيق عملية التلقي ويحد من فعاليتها ومردوديتها؛ إذ إن الترجمات ليست كلها مما يفي بدور الوسيط الكفء والنزيه بين لغة المصدر ولغة الهدف، مما ينجم عنه آفة تشويش المفاهيم وتشويهها، والتي يمكننا رصد آثارها السلبية فيما صار يعرف بأدواء الترجمة (المرزوقي، ٢٠١٢: ١٧٢- ٢٠٢).

يحمل ما تَقَدّم القول إن التلقي العربي المعيب بهذا القصور البنيوي الذي يمس أداته الأساسية المتمثلة في الترجمة، لا يمكن أن يكون منتِجا على مستوى وظائف تبيئة الطروحات، وتمثُّل المفاهيم، وبناء نماذج التحليل، بالقدر الذي يحقق لنا ما نأمله من مسايرة ومشاركة في إنتاج المعرفة وتداولها بالمعايير الكونية المتعارف عليها؛ بل إن قصورا بهذه الدرجة عن ضبط آنية استهلاك الإنتاج المعرفي، ليجعلنا رهائن لحالة من تأبيد العطالة التي لا يزيدها الإيقاع السريع لإنتاج المعرفة إلّا تمكناً من إرادتنا، وتشكيكا في قدرتنا على الخروج من المأزق (المرزوقي، ٢٠١٢: ٧٦).

إن الاطلاع على مقدمات الكتب المترجمة التي وضعها المترجمون تحفل بما يشبه البكاء على الأطلال؛ فما من واحد من هؤلاء إلا وجدته يبكي متفجعا على الحال التي وصلنا إليها في مجالات الإنتاج المعرفي الرصين (نستثني الإنتاج الإبداعي)، فنحن من جهة لا نبدع ما يستحق أن يثمّن ويعتمد في سوق المعرفة العالمي، ومن جهة أخرى لا نحسن النقل إلى لغتنا لتعم الفائدة، وتنشط دينامية تداول المعرفة وإشاعتها. أضف إلى ذلك العوامل المساعدة على تكريس الوضع المأساوي القائم، مما له صلة بضعف مستوى التعليم عامة، والتعليم العالي خاصة، وغياب يكاد يكون كليا لتنسيق الحركة العلمية وتنظيمها فيما يتصل ببرامج البحث، والترجمة، وتوحيد المصطلحات (بيجوان- تواورن/ مقدمة المترجمة، ٢٠٠٩، ص ١٦- ٢٢).

في ضوء ما تَقَدّم الحديث عنه من معضلات التلقي العربي للمناهج الغربية، تسعى مقالتي هذه لاستجلاء واقع التلقي العربي لواحد من التيارات الغربية المعاصرة المختصة في تحليل الخطاب من منظور بلاغي، وأعني به تحديدا تيار «البلاغة الجديدة» التي وضع أساسها وأقام بناءها الباحثان البلجيكيان شاييم بيرلمان وأولبريخت تتيكا؛ هذه النظرية التي تفاعل معها الباحثون العرب، وعملوا على نقل مفاهيمها وترجمة مصطلحاتها، وبناء نماذج تطبيقية على هديها. كيف كان هذا التلقي؟ وما الذي ميّزه عند الباحثين العرب الذين عُنوا بهذه النظرية البلاغية المعاصرة؟

١- تلقي نظرية «البلاغة الجديدة» في العالم العربي:

١-١ كرونولوجيا التلقي: لا بد لنا -قبل الخوض في القضايا المعرفية والفنية ذات الصلة بتلقي نظرية البلاغة الجديدة في العالم العربي- من توطئة نلتفت من خلالها إلى الجوانب التاريخية التي أحاطت بهذا التلقي، وطبعته بميسمها. فرغم أن المعتمد لدى الغربيين في التأريخ لنشأة هذه النظرية البلاغية، هو صدور كتاب ش. بيرلمان وأ. تتيكا: Traité de l’argumentation, la nouvelle rhétorique، سنة ١٩٥٨، إلا أن صدى التلقي العربي لها لا يمكننا رصده إلا في أواسط ثمانينيات القرن الماضي، وبالتحديد في كتاب محمد العمري (في بلاغة الخطاب الإقناعي/ مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا)، الذي صدرت طبعته الأولى عام 1985 (العمري، ٢٠٠٢). في مقدمة الطبعة الأولى يشير العمري إلى ما يفيد أن تناول موضوع البلاغة في العالم العربي من منظور معاصر فيه تفاعل مع المقاربات الغربية، كان هو مبتدئه من خلال هذا الكتاب. يقول العمري: «ثم رأيت الدارسين الغربيين المحدثين الذين لهم باع في هذا المجال يستنيرون بآراء أرسطو، بل ويعتبرونها حديثة ومناسبة للمجتمعات الحالية. فزاد اقتناعي بإمكان تأطير اجتهادات البلاغيين العرب بالإطار العام للنظرية الأرسطية، وإغناء ذلك باجتهادات وإضافات البلاغيين ودارسي الخطاب الإقناعي من غير العرب في القديم والحديث في حدود ما يسمح به حجم هذا العمل والغرض الذي رصد له أولا» (العمري، ٢٠٠٢: ٩). والذي يجعلنا نستنتج أن العمري في كتابه المذكور كان مبتدئ التفاعل مع نظرية بيرلمان، هو إشارته إلى مجددي النظرية الأرسطية؛ إذ من المعروف أن بيرلمان في الغرب الأوربي، هو ثاني اثنين قاما بهذا العمل.(Barthes,1970 .172-223) هذه الإشارة الواردة في مقدمة الطبعة الأولى للكتاب يؤيدها ما

جاء في الطبعة الثانية من تأكيد شح المراجع العربية التي يمكن وسمها بصفة التفاعل مع النظريات البلاغية المعاصرة، لا سيما تلك التي حملت على عاتقها مواصلة أرسطو ومناكفة منظرين آخرين أحدث تاريخيا منه .(Perelman , 1988, p1) يقول العمري: «ما زال الطالب الجامعي ودارس الخطاب الإقناعي يقلّب بصره في رفوف المكتبة العربية فلا يجد شيئا يغني في هذا الموضوع فيولي وجهته نحو المكتبة الفرنسية الإنجليزية، لا أستثني من ذلك إلا الكتاب الجماعي الذي أصدره أخيرا (١٩٩٩) زملاؤنا في فريق البحث في البلاغة والحجاج بجامعة منوبة بتونس تحت عنوان: «أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم». فهذا العمل التمهيدي المساعد على دخول الموضوع، لباحثين من اختصاصات متعددة يشكل في نظري أول حدث في هذا المجال منذ صدور: «بلاغة الخطاب الإقناعي» (العمري، ٢٠٠٢: ٥). ويفيدنا هذا الشاهد الثاني في ضبط أدق لكرونولوجيا التلقي العربي لنظرية البلاغة الجديدة، فشهادة العمري لفريق البحث التونسي، لها هنا دلالتان: دلالة أحقية هذا الفريق بحيازة قصب السبق في مجال التعريف بنظرية البلاغة الجديدة، بوصفها إحدى النظريات البلاغية الغربية، والدلالة الأخرى؛ أن تفاعله مع هذه النظرية في كتابه المذكور كان أقل عمقا وتجسيدا لما تتطلبه تبيئة المناهج الأجنبية واستضافتها في الفضاء الثقافي العربي. والذي يتيح لنا تأكيد هذه الدلالة الثانية، هو ما نجده في متن الكتاب من إحالات لبيرلمان قليلة، لا تعكس اهتماما كبيرا بهذه النظرية، ويقتصر جلها على مسائل جزئية، لا ترتقي إلى مستوى إعطاء صورة واضحة مكتملة عن المعالم الكبرى للنظرية البيرلمانية (العمري، ٢٠٠٢: ١٤، ١٦، ٧٢، ٨٥، ١٣٧).

غير أن الذي يؤاخذ عليه العمري هو إغفاله الإشارة إلى جهد صلاح فضل المتقدم زمنيا على جهد الفريق التونسي للبحث بحوالي سبع سنوات، والمتمثل فيما تضمنه كتابه (بلاغة الخطاب وعلم النص)، تحت عنوان: بلاغة البرهان، وهو مبحث فرعي يدرجه ضمن مبحث أكبر عنوانه: الاتجاهات الجديدة (فضل، ١٩٩٢: ٦٧، ٦٥). وفيه يعرض فضل المعالم الكبرى لنظرية البلاغة الجديدة، وإن لم يستوف كل ما احتواه كتاب بيرلمان وتتيكا من مفاهيم وتصورات، كما سيأتي بيانه لاحقا.

ومع ذلك، يمكننا القول بعد هذا إن كتاب العمري مثَّل أوليات التلقي العربي لنظرية البلاغة الجديدة، وإن جهده هذا لم يتح للقارئ العربي تعرف هذه النظرية تعرفا كافيا. ولعل في ما قاله عن المؤلف الجماعي لفريق البحث التونسي ما يعفينا من مزيد التنقيب في هذه المسألة. فالذي أنجز في هذا العمل، وخاصة مقالة عبد الله صولة المعنونة بـ: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال (مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة) (صولة، د.ت: ٢٩٧- ٣٥٠)، كان فاتحة الكتابات العربية في التعريف التام بالنظرية البلاغية الحجاجية لبيرلمان وتتيكا، والتي تَبِعتْها بعد ذلك كتابات أخرى؛ أهمها الفصل الذي يخصصه محمد سالم محمد أمين الطلبة في كتابه (الحجاج في البلاغة المعاصرة- بحث في بلاغة النقد المعاصر)، الذي تناول التعريف بها ضمن نظريات أخرى كثيرة تحت عنوان: المدرسة البلجيكية –الوظائف الاجتماعية للحجاج/أ- نظرية الحجاج عند بيرلمان (الطلبة، ٢٠٠٨: ١٠٤-١٣٣). وتوالت الكتب والمقالات والرسائل الجامعية التي عني أصحابها بالموضوع. وتم التعريف بهذه النظرية من خلال الترجمات. فيمكننا أن نجد تعريفا لها في كتاب فيليب بروتون وجيل جوتييه (تاريخ نظريات الحجاج) الذي ترجمه محمد صالح ناجي الغامدي، في فصل معنون بـ: البلاغة الجديدة لبيرلمان (بروتون، جوتييه، ٢٠٠٠: ٤١- ٥٧)، أو في القواميس المتخصصة التي عرضت للتعريف بها في مدخل: البلاغة/ الخطابة، كـ (المعجم الموسوعي الجديد في علوم اللغة) لأوزوالد دوكرو وجان-ماري شافّار، والذي ترجمه عبد القادر المهيري وحمادي صمود (١٩٧٢و١٩٩٥: ١٤١- ١٥٢). غير أن اللافت للنظر، والمؤسف في الوقت نفسه، هو أن ترجمة النص المؤسس للنظرية لم تنجز في حدود علمي إلا مؤخرا (الشبعان، ٢٠١٠: ٢٠).

أما الدراسات النظرية والتطبيقية التي استحضرت نظرية البلاغة الجديدة واستلهمتها، أو استرشدت بها، فقد توالت في الصدور خاصة في العشرية الأولى من الألفية الثالثة بعد أن أصبحت النظرية معروفة، وامتلكت شيئا من مؤثرات الإغراء في أوساط الباحثين العرب في الجامعات وخارجها. ونذكر على سبيل المثال لا الحصر الأعمال الآتية: محمد العمري (البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ٢٠٠٥)، على الشبعان (الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، ٢٠١٠)، أمينة الدهري (الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ٢٠١١)، سامية الدريدي (الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري بنيته وأساليبه، ٢٠٠٧؛ الدريدي، ٢٠١٢).

١-٢ المغري في التلقي العربي لـ «البلاغة الجديدة»/ بلاغتنا وبلاغتهم: لكل منهج غربي فتنته وسحره وإغراؤه. وانجذاب الباحثين العرب نحو هذا المنهج أو ذاك يجد ما يسوّغه في دوافع متعددة ومتباينة. فدعاة القطيعة المعرفية مع الموروث لهم دوافعهم المتصلة بانتمائهم الاجتماعي والأيديولوجي، وتوجهاتهم المعرفية، وربما بـ«مركباتهم» النفسية التي تعمل في لاوعيهم أكثر مما تعمل في وعيهم. ودعاة إحياء التراث لا يختلفون عنهم في كل ذلك، ومثلهم أيضا من اختاروا أطروحة التوفيق والتفاعل المعتدل. ولعل نظرية البلاغة الجديدة هي واحدة من نظريات غربية قليلة، حظيت بنوع من التعاطف في فضاء الثقافة العربية المعاصرة، ولم يُعترض عليها كما اعتُرض على البنيوية، أو السيميائية، أو التفكيكية، في أوساط بعض النخب العربية؛ بوصف هذه المناهج نتاج أوضاع خاصة بالثقافة الغربية وتجاربها في تصور الحياة وإدراك قضايا الوجود الإنساني، مما له صلة بالانتماء الديني والحضاري، الذي يتعارض ضرورة مع مسلماتنا ومرتكزات تصوراتنا الخاصة بانتمائنا الديني والحضاري (حمودة، ٢٠٠٣: ٨).

والناظر في هذا التباين بين تلقي العرب لنظرية البلاغة الجديدة، وتلقيهم لغيرها من النظريات، تتحرك في نفسه رغبة البحث عن الأسباب الكامنة وراء ذلك. ولا سبيل في نظري لمعرفة تلك الأسباب،

أقرب وأسلم، من مساءلة المعنيين الأوائل بهذه القضية، وفحص هوياتهم كما جسدتها أعمالهم ومواقفهم الثقافية.
تكشف لنا المقارنة البسيطة بين تلقي نظرية البلاغة الجديدة، وتلقي أخواتها المنضوية تحت مسمى نظريات الحجاج المعاصرة؛ وهي: نظرية الحجاج المنطقي لتولمين، ونظرية الحجاج في اللغة لديكرو، ونظرية التداولية الجدلية لإيمرن وجروندهورست (بروتون-جوتييه، ٢٠٠٠)؛ أو بينها وبين قريباتها المنضوية تحت مسمى النظريات التداولية: كنظرية أفعال الكلام لأوستين وسيرل، ونظرية التداولية المندمجة لديكرو وأنكومبر، ونظرية الضمنيات لغرايس (روبول-موشلر، ١٩٩٨). تكشف لنا هذه المقارنة البسيطة القائمة على استطلاع بيليوغرافي سريع أن تفضيل طائفة من الباحثين العرب للحجاج البلاغي كما صورته نظرية البلاغة الجديدة التي قامت على تجديد النظرية الأرسطية وتعديلها، وتبنت خيار إدماج البلاغة في الحجاج، قائم في الأساس على توازيات كثيرة؛ منها الاعتداد بالتراث والرغبة الجامحة في إحيائه عند أقطاب نظرية البلاغة الجديدة، وعند المتأثرين بها من العرب الذين لا يألون جهدا في محاولة التوفيق بين البلاغتين العربية والغربية المعاصرة، إحياء لحركة مماثلة شهدها التاريخ القديم، خصت التفاعل بين البلاغة العربية القديمة والبلاغة الأرسطية على يد الفلاسفة والبلاغيين والنقاد العرب القدماء (صمود، د ت؛ صولة، ٢٠٠٧؛ العمري، ٢٠٠٢، ٢٠٠٥؛ الدهري، ٢٠١١). يضاف إلى هذا السبب الظاهر الصريح، سبب آخر يتعلق بكون هذه النظرية جاءت لتسد ثغرة ظلت موجودة في حقل الدراسات العربية المعاصرة في مجال النقد وتحليل الخطابات والنصوص؛ فقد شهدت الساحة العربية في هذا المجال اهتماما كبيرا بالدراسات السردية والشعرية، طغى على الاهتمام بأجناس الخطاب الأخرى، كالخطاب النقدي (نقد النقد)، والخطاب السياسي، والخطاب التعليمي، والخطابات المنتمية لحقول معرفية مجاورة، كالخطاب الديني بمختلف صنوفه (علم الكلام، التفسير، الفقه، علوم الحديث)، أو الخطاب الفلسفي. وهي أنماط خطاب يطلق عليها تسمية الخطابات التداولية، كمقابل للخطابات التخييلية (صولة، ٢٠٠٧؛ الشبعان، ٢٠١٠؛ الدهري، ٢٠١١؛ العمري٢٠٠٢).
وربما أمكننا القول بعد هذا إن الظروف كانت مهيأة، لكي تحظى هذه النظرية الغربية بالقبول عند طائفة من الباحثين العرب، إذا عدنا إلى ما قبل مرحلة تلقيها في الساحة العربية، فمن المعروف أن حركة النهوض العربي المنطلقة منذ نهاية القرن التاسع عشر، والمستمرة إلى الآن، كانت قد برمجت العقول العربية في كل حقول العلم والمعرفة على الاشتغال بمهمات التجديد، وحَدَتْها إلى استثمار التفاعل مع منجزات العقل الغربي. نريد أن نذكر هنا بالجهود التي قام بها الرعيل الأول من الباحثين الذين انكبوا على تجديد البلاغة العربية، بداية من أمين الخولي، وتلامذته، ومرورا بمصطفى ناصف وأضرابه، وانتهاء بجابر عصفور وأمثاله، في المشرق العربي (مشبال، ٢٠١٠: ٨٣- ٨٧).
وبالنظر إلى ما أحاط بعملية تلقي البلاغة الجديدة عند الباحثين العرب، من ظروف إيجابية محفزة ومغرية، يتبين لنا أيضا المسار الواضح الذي سار فيه بعض الباحثين العرب، وهم ينطلقون دون الاصطدام بإحراجات كبيرة، إلى تأطير دراساتهم البلاغية الحجاجية، اعتمادا على هاجس التأصيل وتجديد التراث الذي سبق الحديث عنه؛ فأمينة الدهري -مثلا- تسوّغ اعتمادها لنظرية البلاغة الجديدة بقولها: «(...) كون كل من البلاغة الجديدة، وجزء كبير من البلاغة العربية، التي تصدر عنها النصوص المزمع دراستها، يحملان في عمقهما هاجس إعادة قراءة التراث البلاغي اليوناني والروماني وإضافات ما تلاهما من تراكمات في المجال (...) قصدية التطوير الموجهة هذه، تقابلها الإفادة من الإرث الأرسطي من قبل البلاغيين العرب وخصوصا ما تعلق بآلية المقايسة ونظريتي التحديد والقياس والقوانين الاستدلالية، باعتبار بعضها وسائل مؤدية إلى المعرفة الصحيحة» (الدهري، ٢٠١١: ١٣).
وهو ما يصدق على جهد فريق البحث التونسي الذي يستفيد من هذه المزية التي خص بها تلقي نظرية البلاغة الجديدة، في اللجوء إلى خزان المفاهيم الفلسفية والجريد الاصطلاحي المصاحب لها في التراث الفلسفي العربي، الذي قام أعلامه بنقل أرسطو إلى العربية، وتبيئته والتفاعل معه (الريفي/ الهوامش، د ت،٥٠، ٥٢، ٧١، ٩٠).
وفي ضوء هذه العوامل المسهلة لعملية التلقي، يمكننا أن ندرج بعدا آخر يتعلق بخصوصية الخطابات المعنية بالدراسة في نظرية البلاغة الجديدة؛ الخصوصية التي تعني المتلقي العربي، وتتعلق بحاجاته الملحة في مجال إنتاج الأفكار وبلورة التصورات وبناء الأطروحات التي تخدم مشروع التحديث والعصرنة، ونعني بها الخطابات ذات المقصد العملي النفعي المباشر، والتي يكون المدار فيها على تسيير الشأن العام، ومعالجة مشكلاته، كالخطاب الديني، والخطاب السياسي، والخطاب التعليمي، والخطاب الفلسفي. فوجود نظرية تهتم بهذه الخطابات ذات الأهمية الكبيرة في المعيش العربي المعاصر الغارق في أزمات لا حد لها، من شأنه أن يحفّز على تلقيها والتفاعل معها، وربما تفضيلها على مقاربات تشترك معها أو لا تشترك في العناية بالبعد الحجاجي للخطاب الطبيعي. يوازي هذا الاهتمام العربي المعاصر المنطلق من الحاجة إلى إصلاح الخطابات الحجاجية المعاصرة وتقويمها، اهتمام لا يفارقه بدراسة الخطابات التراثية الشبيهة، ومحاولة فهمها وتفسيرها، واقتراح قراءات مخالفة لها، يكون هدفها تنقية التراث من الفهوم المعوّقة للإقلاع الحضاري العربي المنشود اليوم.

٢- ترجمة مصطلحات البلاغة الجديدة إلى العربية ومشكلاتها:
لا تختلف مشكلات ترجمة مصطلحات البلاغة الجديدة عن ترجمة مصطلحات المدارس والتيارات الغربية الأخرى، وإن كانت أقل منها حدة وإثارة للبس في إحالاتها المفاهيمية، كما يمكن أن نجده في حقل السيميائيات مثلا. ويرجع ذلك إلى عدة أسباب؛ أهمها ما تتمتع به الثقافة العربية من إرث بلاغي غني بالمصطلحات والمفاهيم حاول القدماء أن يستوفوا بها دراسة الظواهر المختلفة للقول الأدبي خاصة. زيادة على أن الجهاز الاصطلاحي للبلاغة

الجديدة لا يقوم على استحداث المصطلحات بقدر ما يقوم على إحياء المصطلحات القديمة العائدة إلى المصادر الفلسفية اليونانية والرومانية (بلاغة أرسطو وغيره)، أو إلى البلاغة الغربية في العصور الكلاسيكية وما بعدها. وهو ما يوفر للمترجم العربي إمكانية الاعتماد على ترجمات الفلسفة الغربية إلى العربية، ويغنيه عن اللجوء إلى وضع البدائل.

غير أن هذه السهولة النسبية في التعاطي الترجمي مع مصطلحات البلاغة الجديدة لا ينبغي أن تنسينا العوائق التي تصادفنا كثيرا في إيجاد البدائل المناسبة لهذا المصطلح الأجنبي أو ذاك. فالمعروف عند علماء اللسانيات أن الألسنة الطبيعية تختلف أصلا وتتباين في طريقة تشييدها للواقع وتقطيعها لموجوداته المختلفة، حسية كانت أو معنوية. ينطبق هذا على مظاهر الكون الكبرى، وعلى الألوان، وتصنيف علاقات القرابة، فما بالك بما هو أشد تعقيدا، مما له صلة بتصنيف الأقوال، وتسمية مقاماتها، وتحديد الأساليب ومواطن التأثير الإقناعي والجمالي فيها، ومعايير قياس الصواب والخطأ، والتمويه والمغالطة، وأصناف المتلقين الذين يتلقون أنواعا لا حصر لها من الخطابات، وغير ذلك من القضايا التي تختلف اللغات والثقافات في مقاربتها وضبط الإحالة إليها عبر المصطلحات؟

تتولد عن هذه العوائق آفات وقف الباحثون المختصون عندها، محاولين رصدها، والتنبيه إلى آثارها السلبية على عملية التلقي العربي للنظريات الوافدة. وفيما يأتي عرض لبعض هذه الآفات، نرفقه بالتطبيق على بعض مصطلحات البلاغة الجديدة.

٢-١ اقتراح البدائل العربية/ التعدد والتبعثر واختلاط الأنساب المفاهيمي: آفة الترجمات العربية الكبرى هي تعدد المصطلح، وهي آفة يزيد ضررها عندما تزدوج بآفات أخرى، سنوالي الحديث عنها لاحقا. يتولد عن ذلك، بطبيعة الحال، تشويش لعملية تلقي المصطلح والوقوف على المفاهيم المحال إليها، فتجد المصطلح في كتاب يحيل إلى مفهوم، وفي كتاب آخر إلى مفهوم ثان، ...الخ. وهكذا يتوزع نسب المفهوم بين مصطلحات عديدة، مما يوقع القارئ حقيقة في البلبلة. ويترتب على ذلك، بطبيعة الحال، عسر في قراءة النصوص المترجمة، وبطء في وتيرتها، وضعف في مردوديتها. وذاك ما يعني تعثرا في تمثل المفاهيم والطروحات، وقصورا في إدراك المستوى الذي بلغه البحث في معالجة القضايا والإشكاليات المطروحة. هذا إذا افترضنا أن الترجمة إلى العربية تساير المستجد والراهن في حقل البحث المعني، وهو ما ثبت عدم حصوله بالتتبع البيبليوغرافي العملي في مجال النقد الأدبي على الأقل (عصفور، ١٩٩٨: ٩٥).

وللتمثيل من المدونة الاصطلاحية نعرض فيما يأتي لبعض المصطلحات المعيبة بآفة التعدد، المتسببة في ظاهرة اختلاط الأنساب المفاهيمي:

أ -مصطلحات الأجناس الخطابية (Genres oratoires:) Epidictique، مثلا، وهو تسمية لأحد أجناس الخطابة الثلاثة، الجنسان الآخران هما: Délibératif (المشاوري)، Judiciaire (القضائي).

التثبيتي (ديكرو-شافار، ١٩٧٢و١٩٩٥: ١٤٣؛ شارودو-منغنو، ٢٠٠٢: ٢٧٤)، التثبيتي (بلانتان، ١٩٩٦: ١٨)، الإرشادي (ديكرو-سشايفار، ١٩٧٢: ١٥٥)، الأفودقطيقي/ البرهاني (صولة، د ت: ٣٠٤)، الاحتفالية (العمري، ٢٠٠٢: ٢٢)، المفاضلة (العمري، ٢٠٠٥: ١٢)، المحفلي/ المفاضلة (العمري، ٢٠٠٥: ١٦)، التثبيتية (الطلبة، ٢٠٠٨: ٤٨)، التثبيتي/ المنافري (الريفي، د ت: ١٤١)، البرهاني (الدهري، ٢٠١١: ١٧٠).

ب)مصطلح (Analogie):

قياس (موشلر-روبول، ١٩٩٤: ٦٢٤؛ شارودو-منغونو، ٢٠٠٢: ٣٧؛ فضل، ١٩٩٢: ٧٢). النظير (علوش، ١٩٨٥: ٢٦٨). تناسب، تشابه، مشابهة (مورو، ١٩٨٢: ٩١). مماثلة (الريفي، د ت: ٦٤؛ بروتون-جوتييه، ٢٠٠٠: ٥٤) . التمثيل (صولة، د ت: ٣٣٨). تماثل، تشابه، قياس (ديكرو؛ سشايفار، ١٩٧٢: ٧٠٠). تماثل (بلانتان، ١٩٩٦: ١٦٣) مقايسة (العمري، ٢٠٠٥: ١٩١؛ الدهري، ٢٠١١: ١٣).

واضح مما تقدم أن تعدد البدائل العربية لا يزال داء عصيا من أدواء الترجمة، فبفحص تواريخ إصدار الكتب المعتمدة كمدونة لبحثنا هذا، يتبين لنا أن الباحثين العرب لا يعون أو لا يريدون أن يعوا ما يسببه هذا الداء من بلبلة للقراء. فما الذي يحمل أحدهم على أن يختار التعريب «أفودقطيقي» بديلا لـ Epidictique، وهو يرى أن فريقا من زملائه المترجمين استقروا على «تثبيتي» الذي وجدوه في تراثنا الفلسفي؟ ألم يدرك أن التعريب لا يصلح إلا حيث يروج المصطلح الأجنبي، ويتمكن من الألسن، ويشيع في الاستعمال؟ ولماذا يختار بعض باحثينا «قياس» ترجمة لـ Analogie، وهم يعلمون يقينا- وهذا ظننا الحسن فيهم- أنها تلتبس مع «قياس» أخرى اختيرت بديلا لـ Syllogisme؟ أما التعليق على البدائل الأخرى «نظير» و«مماثلة» و«تماثل» و«مشابهة» و«تشابه» و«تناسب» و«مقايسة»، فلا نريد أن تنفتح شهيته، لأنها إن انفتحت فستلتهم الصفحات الكثيرة. وقل مثل ذلك عن تعدد البدائل المقترحة لمصطلحات أقسام الخطاب.

٢- ٢ الارتهان المعجمي للغة المصدر: أغلب المصطلحات يصدق عليها ذلك، وهو قصور في الأداء الترجمي يمكن رده إلى إهمال التكوين في علم المصطلحات وما يلتف به من تخصصات فرعية إهمالا يصل إلى حد افتقاد مترجمينا إلى التكوين القاعدي الذي يضمن لهم الإلمام بأصول هذا العلم وقواعده، إن تعذر عليهم التعمق فيه. وأمارة ذلك القصور جري المترجمين العرب وراء محاكاة الدال، ومحاولة إيجاد شبيه له في الدلالة المعجمية الأولى، وفي البنية الصرفية، وما يتصل بها من وظيفة نحوية، بل فيهم من يتتبع في ذلك حتى سمات التمييز المتعلقة بالتذكير والتأنيث والإفراد والجمع. وفي هذا مخالفة صريحة لقاعدة في وضع المصطلحات تقضي بأن ينطلق واضع المصطلح من التصور الذهني المتميز باقترانه مع مرجع، ثم البحث عما يضمن الإحالة الواضحة إليه في اللغة المعنية، لأن هناك فرقا في سيرورة التدليل بين الوحدة المعجمية العادية والمصطلح (Gaudin,2003 :150,154).

ويظهر الإخفاق المتولد عن الارتهان المعجمي للغة المصدر، أكثر

ما يظهر في اختيار بدائل مستنزفة الدلالة عندنا، مثل مصطلح السلطة في التركيب المصطلحي Argument d'autorité، الذي أجمع عليه المترجمون العرب فيما يشبه الشذوذ على قاعدة التعدد التي دأبوا على التزامها، وتوهموا أنه البديل الأمثل لمصطلح «Autorité»، لوجود تساو تام في دالي اللغتين ومدلوليهما، وأغفلوا فارقا يتعلق بالوسم الثقافي لكل منهما؛ فكلمة Autoritéترجع في أصلها الاشتقاقي إلى الكلمة اللاتينية augere والتي تعني auteur (منجز الفعل) (CLEDAT ,1914 :39)، كما أنها متفرعة في الفرنسية عن الفعل Autoriser الذي يعني «أَذِن». ولكل هذه التفاصيل الاشتقاقية التأثيلية ظلال إيحائية، يكرسها المدلول الثقافي للكلمة عند الغربيين، وهو: ممارسة قدر من السلطة يؤذن به بعد إثبات الجدارة في مجال من المجالات، ويخضع للتعاقد. في حين ينصرف الذهن عندنا إلى دلالة أضيق عندما نسمع كلمة «سلطة»، وهو المدلول الذي يناسبه أكثر كلمة «pouvoir». يقول بيرلمان وتتيكاه عن تعدد مصادر «السلطة»: «أنواع السلطة التي يمكن استدعاؤها [في الخطاب] شديدة التنوع، فأحيانا تكون «الرأي المجمع عليه» أو «الرأي العام»، وأحيانا تكون بعض فئات الناس كـ «العلماء» و«الفلاسفة» و«رجال الكنيسة» و «الأنبياء»، وأحيانا أخرى تكون السلطة غير مشخصنة كـ «الفيزياء» أو «المذهب» أو «الدين» أو «الإنجيل»، وفي بعض الأحيان قد يتعلق الأمر بسلطات معينة «بأسمائها» (Perelman,1988 :413)

بحسب ما تقدم من ملاحظات، ألا يكون من الأجدى أن ننطلق من التصور الذهني الذي تتحدد بموجبه الإحالة المفاهيمية، فنقول مثلا: حجة المرجع، أو المرجعية، أو حجة الموثوق... إلخ

لقد أصاب أبويعرب المرزوقي عندما وصف هذه الآفة بأنها الداء الجامع لكل الأدواء التي ابتلي بها التراجمة العرب الذين «غالبا ما يصابون بداء التشقيق اللساني والتعالم الاصطلاحي فيحصرون الاجتهاد الفكري في طلب المقابلات اللغوية، ومن ثم في ألاعيب لسانية لمحاكاة الكيفيات التي يدل بها دال اللغة المنقول عنها، بدل البحث في ما يمكن أن يؤدي المدلولات نفسها في اللغة المنقول إليها» (المرزوقي، ٢٠١٢: ٦٤).

٢-٣ إهمال البعد السوسيو- ثقافي في عملية الترجمة: يشترط في الترجمة زيادة على المعرفة التامة باللغة المنقول عنها، المعرفة الكافية بثقافة تلك اللغة. وقد أفاض علم اللغة الحديث، ولا سيما فرع اللسانيات الاجتماعية، وعلم الاجتماع اللغوي في الكشف عن التداخل بين البنى الاجتماعية والثقافية، والبنى اللغوية. فالنصوص لا تنتج «فقط من البنى اللسانية والنطق الخطابية، إنها تنتج أيضا من البنى الاجتماعية الأخرى، ومن الممارسات الاجتماعية في جميع جوانبها. لذلك يصعب الفصل بين العوامل التي تبلور النصوص» (فاركلوف، ٢٠٠٣: ٦٢). وقبل ذلك وقف علماء الدلالة على حقيقة أن اللغة ليست وسيلة حيادية في وصف الواقع ونقله، عندما اكتشفوا أن لكل لغة طريقتها في تقطيع الواقع والإحالة إليه. لذلك بات من الضروري أن يتشرب المترجم ثقافة اللغة المصدر، وأن يتعرف أدق أساليبها المستخدمة في مستويات التواصل المختلفة، وفي ضروب المعرفة المتنوعة، وأن يعرف مضمراتها المتصلة بثقافتها الشعبية وتاريخها ومعتقداتها، ذلك أدنى أن تزل قدمه، فيخطئ ويضلل قارئه. فقد «لا تسمح الكفاءة اللغوية المقصورة على معرفة القواعد النحوية، باقتراح بدائل [مناسبة] في الترجمة. فالتحكم في نظام لغة ما هو شرط ضروري ولكنه غير كاف، كما تشهد بذلك البحوث في تعليمية اللغات. [ومن ثم] ينبغي أن يترافق ذلك مع ما يمكن تسميته بالكفاءة الثقافية، التي يشار إليها غالبا بوصفها «قيمة مضافة» تتمنع على التحديد، ولكن [معرفتها تبقى] «أساسية» -CANON) ROGER, 2009/1, p26)

ولنتأمل الآن الترجمات الآتية التي فحصناها فوجدناها تتنكب الاهتمام بالبعد السوسيو ثقافي في ضبط الإحالة المفاهيمية: حجج السلطة/ Arguments d'autorité (مجمع عليه)، المشهورات/ Doxen(الريفي، د ت: ١١١)، المواضع/ **Lieux**(صولة، د ت: ٣١١)، حجج التبذير/ Arguments de gaspillage، (صولة، د ت: ٣٣٣)، الضمير/ Enthymême (الريفي، د ت: ١٦١)، الظن/ **Opinion** (الريفي، د ت: ١١١)، قاعدة العدل/ Règle de justice (صولة، د ت: ٣٢٨).

نختار للتعليق البديل «حجج التبذير» والذي يزدوج فيه عيبان: عيب الارتهان المعجمي-وهو ظاهر- وعيب إهمال البعد السوسيو ثقافي؛ فما من شك في أن لفظة «تبذير» في الثقافتين ليس لها المدلولات الأخلاقية الدينية والاجتماعية نفسها: ففي الثقافة العربية يُشدّد النكير على أي سلوك فيه تبذير، ولو كان الماء الذي يستخدم في الوضوء، وهو جزء من العبادة. فما بالك بما هو دون ذلك؟ أما في الثقافة الغربية، فهو وإن أحال إلى سلوك سلبي، فإنه ضعيف الوسم من ناحية دلالات التحريم وتشديد النكير التي تميزه في الاستعمال اللغوي العربي، حتى إن لفظة «إسراف» المرادفة له، قد لا تساويه من حيث الوسم الثقافي. لذلك كان يمكن أن نقول: حجج تجنب التبذير، لضمان نقل الوسم الثقافي المصاحب للفظ.

٢-٤ إهمال المقاربة النصية في عملية وضع المصطلح البديل/ زوج البلاغة- الخطابة: يذهب أقطاب علم المصطلحات المعاصرون إلى أن النص يؤدي دورا حاسما في بلورة قائمة المصطلحات وضبط علاقاتها وإحالاتها المفاهيمية «باعتبار أن النص هو المكان الذي من دونه يكون المصطلح مجرد عنصر ميت يمكننا وضعه جانبا ودراسته على مهل، ولكننا سنسيء فهمه لا محالة لأننا لن نراه يتفاعل مع محيطه الطبيعي» (بيجوان؛ توارون، ٢٠٠٠: ٣٩). وينبع هذا التصور لأهمية النص في مجال تحديد الجريد الاصطلاحي وما يتصل بذلك من تنظيم اشتغاله في النص الواحد والنصوص المتعددة المنتمية لحقل تخصصي معين، من مقولة أساسية في علم المصطلحات، يتم التمييز بواسطتها بين الكلمة والمصطلح، فبينما لا تحيل الكلمة سوى إلى سمات دلالية مجردة، يشترك فيها عدد لا يحصى من الأفراد، ولا يكون لها مرجع مجسد في الواقع، يحيل المصطلح إلى متصور ذهني يرتبط ارتباط تلازم مع مرجع متعين في الواقع. لذلك تجدنا نَبْصُر بهذا المتصور الذهني ونعانيه ونعاينه، ثم نرشح له وحدة معجمية نجعلها اصطلاحا عليه. «فالمصطلحات ليست جزءا من المعجم، إنما الخطاب هو الذي

ينشئها. والكلمات التي يصفها المعجمي بكونها تجسيدية ليست في الحقيقة مصطلحات، أو [كلمات] تجسيدية بذاتها، وبوصفها كلمات تنتمي إلى معجم اللغة. فالذي يميزها هو استعمالها في الخطاب، وما يعطيه لها من موقع مركزي في بناء اصطلاحيتها» (LE GUERN,1989: 341)

للاستدلال على هذا الذي تَقَدّم، نضرب مثالا لترجمة مصطلح Rhétorique ذاته في عدد من الترجمات العربية، (صولة، د ت: ٢٩٧؛ شارودو- منغونو، ٢٠٠٢: ٤٩٠؛ ديكرو- شافار، ١٩٧٢و١٩٩٥: ١٤١)، حيث يفضل الباحثون ترجمة هذا المصطلح بالبديل العربي «خطابة». وإنه لأمر محير للقارئ، لأن الموقع الذي تحتله كلمة «خطابة» في النص المترجم، أو في الإحالة إليه، إنما هو الموقع الذي تصلح فيه كلمة «بلاغة»؛ تأمل العبارات الآتية: «ومهما كان الأمر فالخطابة قننت ونشّطت ووصفت الممارسات التواصلية...» (شارودو-منغونو، ٢٠٠٢، ٢٠٠٨: ٤٩٢)/ «في فرنسا اختفت البلاغة رسميا من برنامج الجامعة» (شارودو- منغونو، ٢٠٠٢: ٤٩٣)/ «لم تعد الخطابة، وقد بتر على هذا النحو مكونها الفلسفي، ولقيت الحظوة لديها العبارة، فن خطاب ولكن فن أسلوب وانحصرت أساسا في دراسة أشكال اللغة المزيّنة» (ديكرو، شافار، ١٩٧٢ و١٩٩٥: ١٤٨)/ «وأصبحت الخطابة تعريفا للأدبي باعتباره نصا أقل استقلالا وانغلاقا من كونه سياقا في حد ذاته» (ديكرو- شافار، ١٩٧٢، ١٩٩٥: ١٥١).

ولعل الذي حمل الباحثين على اختيار كلمة «خطابة»، هو أن التنظير البلاغي اليوناني القديم اقتصر على دراسة مدونة الخطابة، ولم يُحِل إلى غيرها (العمري، ٢٠٠٥: ٨). ولأجل إنارة هذه المسألة يتوجب علينا إبداء الملاحظات الآتية:

البلاغة ممارسة وتنظير: تكون البلاغة ممارسة عبر أنماط الخطاب المهيمنة في مرحلة تاريخية ما، فتمثل نصوص هذه الأنماط المدونة التي يشتغل عليه المنظّرون، كما حصل عند قدماء اليونان الذين كانوا يقابلون بين فنون التخييل والمحاكاة، كالملحمة، والمأساة، والملهاة، والشعر الغنائي، من جهة؛ وفنون الإقناع والخطابة، كالخطابة المشاورية، والمنافرية، والاحتفالية، والمحاورات الجدلية، من جهة ثانية. فكانت البلاغة علما خاصا بدراسة الأنماط ذات الغاية الإقناعية مقابلا للشعرية. وعندما تطورت هذه الممارسة وتحول التأثير الإقناعي إلى أنماط أخرى شفوية وكتابية كالرسالة مثلا، انتقل التنظير البلاغي من الاشتغال على مدونة الخطابة إلى مدونات أخرى. هذا التمييز يشير إليه رولان بارت بقوله: «البلاغة التي سيدور الحديث عنها هنا، هي تلك اللغة الواصفة (والتي يمثل «الخطابُ» اللغةَ الموضوع، [بالنسبة إليها]) وقد سادت في الغرب من القرن ٥ قبل الميلاد، إلى القرن ١٩ ميلادي... هذه اللغة الواصفة (الخطاب حول الخطاب) تضمّن عدة تقاليد كانت حاضرة بالتزامن، أو بالتعاقب، حسب العصور، في [مسمى] «البلاغة» « (BARTHES, 1970: 173)). فمتى كانت «الخطابة» لغة واصفة ؟! وجب إذن التمييز بين النوع الأدبي أو النمط الخطابي والعلم الذي يدرسه.

البلاغة مفهوم متغير متطور: يستتبع التمييز بين ممارسة الخطابة والتنظير لها، النظر إلى التنظير بوصفه بحثا عن كليات موضوعه، وهي الكليات التي تتجاوز الموضوع إلى كل ما يمكن أن يشاركه في الخصائص والسمات. ومن هنا يكون مسمى العلم الذي تحقق به التنظير أكثر تجريدا من مسمى موضوعه؛ ذلك أن من مستلزمات التنظير الإحاطة بالظواهر المدروسة، ورد الأشباه إلى نظائرها. فمفهوم البلاغة الذي كان ملاصقا للخطابة الجماهيرية والجدلية، وصل عبر تحولات كثيرة، ليدل على أساليب التزيين اللغوي في كل الخطابات الأدبية، بما فيها الفنون التخييلية. يقول روجي زوبار معلقا على جهود مارك فيمارولي في توسيع مفهوم البلاغة، واستثمار مفاهيمها في دراسة الفنون الأدبية ككل، خاصة في كتابه l'âge de l'éloquence الصادر عام ١٩٨٠: «من اللافت للنظر أن هذه الاستباقات النظرية، التي كان يخشى أن تبقى محصورة في تقنيات شفوية، تبدّى لاحقا أنها ذات قيمة كبيرة في تحليل معظم الإنتاجات الأدبية: من المسرح إلى القصيدة الغزلية، ومن الرواية إلى النثر العادي» (ZUBER, 2007: 428)

البلاغة بلاغات: يكشف لنا التتبع الاستطلاعي لدوران مصطلح «بلاغة» عند الغربيين المعاصرين عن وجود تعدد في الطروحات التي تؤطر المفهوم وتبني حوله نظرية أو اتجاها في دراسة الخطاب وتحليله. فمن البلاغة الجديدة (بيرلمان وتتيكاه)، إلى البلاغة العامة أو المعممة (جماعة موμ)، إلى البلاغة المنحسرة (عند جيرار جينات)، إلى بلاغة الوجوه (فونتاني مجددا لديمارسي)، (العمري، ٢٠٠٥: ٧٢-٧٦) إلى بلاغة الصورة (جماعة موμ) (فرانسيس وآخ، ٢٠١٢)، وغيرها من البلاغات التي يرافقها المصطلح الأجنبي Rhétorique نفسه، تتوزع الإحالة المفاهيمية للمصطلح على حقول بحث، لا تشتغل على الخطابة حصرا، وإنما تمد عينيها إلى ما ينتمي لأنماط خطابية متنوعة، تخييلية وتداولية. فلا مجال هنا لاستخدام «خطابة» للدلالة على حقول تنظيرية بهذا التنوع وهذا التباين.

الخلاصة التي يمكننا أن نخرج بها من هذا التحليل، هو أن العلاقة بين البلاغة والخطابة هي علاقة احتواء. وأننا إذا اعتمدنا مصطلح «خطابة» للدلالة على هذا الموروث العائد إلى قرون مديدة، والمستمر معنا في حاضرنا، فما هي البلاغة؟

٣- التعريف بنظرية «البلاغة الجديدة»:

يتخذ التلقي العربي للمناهج الغربية أشكالا متعددة، تتدرج من التعرف الأولي القائم على العروض التعريفية «المدرسية»، وترجمة المصطلحات والبحوث، إلى الاستلهام التنظيري والاسترشاد التطبيقي الذي تتجلى فيه التأثيرات والتفاعلات العميقة الناتجة عن تراكم أعمال التبيئة والتعرف المزدوجة بالتحليل والتفسير والتعليقات الهادفة إلى تأسيس «الصيغة العربية» للنظريات والمناهج الوافدة. وفي حالة التلقي العربي لنظرية البلاغة الجديدة، يمكننا رصد أصناف ثلاثة للعروض التعريفية التي أدرجناها ضمن ما أسميناه «التعرف الأولي»؛ وهي على التوالي: التعريف المحاكي للأصل، التعريف الوظيفي، التعريف المعاد. يمثل النوع الأول بحث عبد الله صولة، الموسوم بـ: الحجاج أطره ومنطلقاته

وتقنياته من خلال «مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة، المنشور ضمن (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) سنة ١٩٩٩ (العمري، ٢٠٠٢: ٥). ويمثل النوع الثاني فصل بعنوان: بلاغة البرهان، ضمن كتاب صلاح فضل (بلاغة الخطاب وعلم النص) الصادر سنة ١٩٩٢. ويمثل النوع الثالث فصل بعنوان: نظرية الحجاج عند بيرلمان، ضمن كتاب (الحجاج في البلاغة المعاصرة- بحث في بلاغة النقد المعاصر)، لمحمد سالم محمد الأمين الطلبة، الصادر سنة ٢٠١٠.

والذي دعانا إلى تصنيف هذه المساهمات على هذا النحو، هو أننا نظرنا في محتوى هذه العروض التعريفية فوجدناها تختلف بعضها عن بعض، من حيث أهدافها، وطريقة معالجتها للمادة المعرفية المجتلبة خاصة من كتاب بيرلمان وتتيكا؛ ففي حين التزم صولة بعرض المحتوى حسب التسلسل الذي جاء وفقه في الكتاب الأصل، هادفا –كما بدا لنا من قراءة النص الذي أنجزه- إلى تمكين القارئ العربي من التعرف الأولي المبسط لهذه النظرية، نحا فضل- من خلال فحصنا لخطة كتابه- نحوا وظيفيا في التعريف بها، انطلاقا من أن كتابه، لم يكن «تعليميا» بالمعنى الذي نحن بصدده، بل كان كتابا أكاديميا يبحث إشكالية تطور المقاربات المعاصرة الساعية إلى وضع نظرية عامة للخطاب، تستفيد من منجزات العلوم المختلفة، ولا سيما العلوم الإنسانية، فجاء تعريفه بها مقصورا على ما يخدم سيرورة التحليل، وخط المعالجة المرسوم لبناء أطروحة مقيدة بإشكاليات وفرضيات معينة. أما العينة الثالثة، فهي لعرض تعريفي، استفاد صاحبه من التراكم الحاصل طيلة عشر سنوات على الأقل، من التعاطي مع نظرية البلاغة الجديدة، فكان تعريفه إعادة فيها بعض الإضافات اليسيرة، للتعريفات السابقة، وخاصة تلك التي تضمنها تعريفا صولة وفضل (الطلبة، ٢٠٠٨: ١١٠، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١١٩).

تقضي خطة هذا البحث محدود الحجم أن أركز على العرض التعريفي لعبد الله صولة، لشموليته، وحسن تمثيله لمرحلة التلقي الأولى التي سميناها «التعرف الأولي».

يتحكم في تلقي صولة لنظرية البلاغة الجديدة، افتراض مسبق لديه، نستنبطه من مجمل الخطاب، وتدل عليه مؤشرات لا تخطئها عين الملاحظ. فقد اختار صاحبه عنوانا لنصه (الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، من خلال «مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة»). وهو ما يمثل في شقه الثاني ترجمة حرفية لعنوان الكتاب الأصل: Traité de l'argumentation- la nouvelle rhétorique، ويمثل في شقه الأول، إحالة مختزلة واضحة إلى محتويات الكتاب (عناوين أقسامه الكبرى الثلاثة)، وهي كالآتي:

Cadre de l'argumentation- إطار الحجاج – Le point de départ de l'argumentation نقطة انطلاق الحجاج

Les techniques de l'argumentation– تقنيات الحجاج(perelman, 1988 :731)

قارئ العنوان، المطلع على الأصل الفرنسي، بوصفه متلقيا التلقي الأول، يقف على لذة الاكتشاف التي حركت صاحب هذا التلقي، ورغبته الشديدة في حيازة قصب السبق في هذا الميدان (العمري، ٢٠٠٢: ٥).

ما سيأتي في التعريف هو تتبع متدرج مطابق لمحتويات الكتاب الأصل من مقدمته إلى خاتمته، حرص فيه الكاتب على تبسيط المفاهيم، والتمثيل لها تارة مقتبسا من الكتاب، وتارة أخرى بإيراد أمثلة من الثقافة العربية. ولم يخلُ العرض التعريفي، بطبيعة الحال، من تعليقات تضمنها المتن أو الهامش، تبعا لأهميتها وقيمتها. وقد أراد الباحث بذلك أن يذلل ما استشعر أنه يمثل عائقا معرفيا يمكن أن يمنع القارئ العربي من حسن تمثُّل المفاهيم، والإحاطة بالتصورات النظرية، أو الإحالات إلى المرجعية الثقافية الغربية التي قد تلتبس عليه. نمثّل لما تقدّم من نص التعريف، بأمثلة تجلّي ما قدمناه من وصف مجمل أعلاه.

٣- ١ في عرض المفاهيم:

أ) التعريفات: نظرا لأهمية التعريفات في التأسيس للتلقي الأولي، فقد أولاها الباحث أهمية خاصة، وحرص على إيرادها، من خلال الاقتباس الحرفي من الأصل، وترجمته، محيلا إلى رقم الصفحة في الأصل المترجم. ومثال ذلك تعريف نظرية الحجاج: يعرف المؤلفان موضوع نظريتهما بقولهما: «موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم (ص٥)» (صولة، د ت: ٢٩٩). وقد يلجأ إلى إيراد التعريف ملخصا، على نحو ما نجد في تعريفه للمواضع Les lieux ou topoi. يقول: «إن للخطيب أن يعمد إلى استخدام القيم وهرميتها للرفع من درجة إذعان الجمهور. وأن له أن يستخدم مقدمات أعم منها تسمى المعاني Les lieux: Topos ومنها اشتقت كلمة Topiques، وهي المصنفات المجعولة للاستدلال الجدلي. فالمعاني أو المواضع عند شيشرون Cicéronفي كتاب «المواضع» عبارة عن مخازن للحجج أو مستودعات حجج Magasins d'arguments (ص١١٢). ومن هنا جاءت ربما كلمة مواضع» (صولة، د.ت: ٣١١)

ب) التصورات العلائقية: ونعني بها ربط المفاهيم بعضها ببعض، على النحو الذي يقتضيه بناء الأطروحة النظري، ومثال ذلك إبراز علاقة البلاغة بالحجاج، أو تصور كيفية دمج الخطابة مع الجدل في المنظور البيرلماني، أو تبيان الاختلاف بين الوجه البلاغي القائم على التمثيل، الذي يؤدي وظيفة مزدوجة جمالية وحجاجية، وذاك الذي يؤدي وظيفة تزينية فقط، وغيرها من التصورات العلائقية التي تنتظمها شبكة من التعالقات المركبة الضرورية لإنتاج أطروحة متماسكة.

عن المثال الأول، يورد عبد الله صولة ما يلي: «بالانطلاق من التعريف الذي وضعه المؤلفان للحجاج وهو تعريف يعتمد ضمنيا أنواع الخطابة الثلاثة ويلم شعثها في نظرية هي الحجاج بعد أن كان «تفرق دم الخطابة على القبائل» وألحق كل نوع منها بعلم، وبالانطلاق من تحديد أنواع الجمهور وأنواع الخطاب الحجاجي أمكن للمؤلفين أن يبعثا الخطابة إلى الوجود لكنها الخطابة في ثوب جديد Une nouvelle rhétorique أسموها الحجاج L'argumentation وجعلوا لهذا الحجاج منطلقات...» (صولة، د.ت: ٣٠٧). وعن المثال الثاني نقرأ قوله: «...وعلى هذا يرى

المؤلفان أن الحجاج غايته إحداث التأثير العملى Effets pratiques الذي يمهد له التأثير الذهني بحيث يبدو المؤلفان يجمعان بين جدل أرسطو وخطابته معا (ص١). ويبدو هذا فعلا في تعريفهما للحجاج بكونه «العلاقات الجدلية القائمة بين الفكر والعمل» (صولة، د.ت: ٣٠٣). أما عن المثال الثالث- وهو يمثل سؤالا مهما من أسئلة التلقي التي يطرحها المتلقي العربي ويبني عليها أفق انتظاره؛ أي التساؤل عن علاقة البلاغة الجديدة ببلاغة الأساليب- فنسوق قول صولة موضحا التصور العلائقي المتصل بذلك: «للتمثيل دور مهم في الإبداع وفي الحجاج على حد سواء، ومرد ذلك أساسا إلى ما يتيحه من امتداد وتوسع إذ بواسطة الحامل يمكن للتمثيل أن يوضح بنية الموضوع وأن يضعه في إطار مفهومي. لكن التمثيل في مجال الإبداع يختلف عنه في مجال البرهنة والحجاج من حيث اتساع مدى هذا التمثيل أو عدم اتساعه. ففي حين لا شيء يمنع من أن يطول التمثيل ويمتد في مجال الإبداع، يطلب من التمثيل في مجال الحجاج أن يلتزم بحد معين، وإلا فقد طاقته الإقناعية» (صولة، د.ت: ٣٤٢).

٣- ٢ التعليقات الشارحة:

يتيح الخطاب التعريفي، لكونه خطابا واصفا، هامشا كبيرا للتدخل في تفسير الخطاب الموضوع وتهيئته للتلقي المنتظر، وهو ما قد لا تتيحه الترجمة، فتنفسح أمام منتجه مساحات كبيرة يعرض فيها تجربته في تلقي النص، ويطَعّمه بالتعليقات التي يراها مناسبة، سواء ما تعلق منها باستحضار نصوص أخرى من المحيط النصوصي الأصلي الذي ينتمي إليه النص الموضوع، كالدراسات الغربية التي حاورته، أو اعترضت عليه، أو استلهمته، أو تفاعلت معه بأيّة صورة من الصور. وهذا ما نقترح تسميته بالتعليقات الأكاديمية القياسية، الراجعة إلى الحقل التخصصي المعني. يضاف إلى هذه التعليقات في حالة كالتي نحن بصددها - حالة التعريف بنظرية وافدة - تعليقات يستحضر المؤلف بواسطتها نصوصا تنتمي إلى ثقافة المتلقي العربي، مما له صلة بالحقل التخصصي المعني، أو بما يوازيه في هذه الثقافة. وفضّلنا أن نسمّي هذا النوع الثاني بالتعليقات البيداغوجية المسهلة للتلقي؛ لكونها تؤدي دور الوسيط بين المعارف الأجنبية وما يشاكلها من معارف في ثقافتنا العربية. وقد ترد هذه التعليقات في متن النص متجاورة مع المفاهيم المستمدة من الخطاب الأصل، أو تحتضنها الهوامش إذا تعذر ذلك.

أ) تعليقات أكاديمية قياسية: نمثل لهذه التعليقات بالمثال الآتي. يعلق عبدالله صولة على قيمة كتاب بيرلمان وتتيكا في مجال الدراسات الحجاجية المعاصرة، بقوله: «ويتمثل فضل كتاب بيرلمان وتيتيكاه حسب رأينا، في أنه حاول بصراحة وبجرأة في أحيان كثيرة أن يخلص الحجاج من ربقة المنطق ومن أسر الأبنية الاستدلالية المجردة مقربا إياه من مجالات استخدام اللغة مثل مجال العلوم الإنسانية والفلسفة والقانون، في حين ظل كتاب تولمين المذكور (عنوانه: وجوه استخدام الحجاج) يراعي، في جوانب كثيرة منه، العلاقات التي تربط الحجاج بالمنطق» (صولة، د.ت: ٣٤٨)، يتضح في هذا الشاهد مدى عناية الباحث بتنوير القارئ، وإمداده بما من شأنه أن يساعده على ربط نظرية البلاغة الجديدة بأخواتها في حقل البلاغة والحجاج، إن رغب في ذلك، أو كانت اهتماماته البحثية تتطلب منه توسيع مجال الرصد والتتبع.

ب) تعليقات بيداغوجية مسهلة للتلقي: تمثل هذه التعليقات في الغالب ما يعتقد المؤلف أن القارئ يعرفه. لذلك نراه يوظفه توظيفا بيداغوجيا لإكساب القارئ ما هو جديد ومجهول لديه، اعتمادا على قاعدة ذهبية في أدبيات علوم التربية؛ وهي: استثمار المعلوم من المعارف والمفاهيم، والانطلاق منه لاكتساب المجهول، عبر بناء جسر تتيحه العلاقات المنطقية القائمة بين المعلومات والمجهولات، كعلاقة التناظر، والمماثلة، وغيرها. وتأخذ هذه التعليقات أشكالا متعددة، كإحلال المثال المستمد من الثقافة العربية محل المثال الأجنبي، أو توظيف معارف عربية بلاغية أو فلسفية قديمة، لتسهيل تمثل المفاهيم الغربية المستحدثة، أو إيراد مقارنات بين المفهوم الغربي وما يناظره في الثقافة العربية. نمثل لهذا النوع من التعليقات بالمثال الآتي: يورد عبد الله صولة مثالا من الفقه الإسلامي ينطبق عليه تعريف الحجج المسماة بحجج إدماج الجزء في الكل، وهو صنف يندرج ضمن الحجج شبه المنطقية القائمة على العلاقات الرياضية: يكون الحجاج في هذه الحالة قائما على النموذج التالي: «ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء» (ص٣١٢) من قبيل القاعدة الفقهية في تحريم الخمر: «ما أسكر كثيره فقليله حرام» (صولة، د.ت: ٣٣٠). ومن شأن هذا النوع من التعليقات أن يستميل القارئ العربي، ويكسب تعاطفه مع المقروء، طالما أنه يجد فيه ما يصلح للتطبيق على موضوعات هي من صميم ثقافته.

٤- الاستدعاء التنظيري:

يستدعي الباحثون العرب مفاهيم نظرية البلاغة الجديدة في أبحاثهم، بغرض مناقشة القضايا التي يعرضون لها في إطار ما رسموه لأبحاثهم من خطط، وما وضعوه من افتراضات، فيكون الاستدعاء عندئذ موظفا توظيفا محددا، تحكمه سيرورات التحليل والاستدلال وما تقتضيه من تتبع لتطور النظريات والمفاهيم وتداخلها وتفاعلها. وهذا ما ينطبق على العديد من الدراسات العربية المعاصرة التي عنيت بالحجاج والبلاغة؛ وهي الدراسات التي أخذت في الظهور بكثرة منذ بداية الألفية الثالثة. وللتمثيل لهذا النوع من الدراسات التي قامت على الاستدعاء ذي الأغراض التنظيرية، اخترنا كتاب محمد العمري (البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول) (العمري، ٢٠٠٥)، الذي يندرج ضمن سلسلة من الدراسات خصصها المؤلف لقضايا البلاغة المختلفة.

عندما نبحث أطروحة العمري المتضمنة في هذا الكتاب من منظور التلقي العربي، تلفت انتباهنا قضايا من قبيل: العنوان وما يمكن أن يسببه للقارئ من إيهام، والمنظور الذي يتبناه العمري لإمكانية تأسيس نظرية عامة للبلاغة، وطبيعة الإحالات إلى نظرية البلاغة الجديدة.

قراءة العنوان المتضمن لعبارة «البلاغة الجديدة» يحيل القارئ، ابتداء، إلى الاعتقاد بأن المؤلف يتبنى أطروحة بيرلمان المعروفة بالبلاغة الجديدة؛ لأن هذه العبارة أصبحت في عرف المتخصصين

والمهتمين علَما على هذه النظرية بعينها، غير أن الاسترسال في قراءة فصول الكتاب، سرعان ما يصحح هذا التوجه القرائي، فيضطر القارئ إلى جعل عبارة «البلاغة الجديدة» مرادفة لـعبارة «البلاغة المعاصرة». ولا تسعفنا بقية العنوان: «بين التخييل والتداول» في ضبط الإحالة التي عناها المؤلف، فالقارئ قد يذهب ظنه، ويقوده اجتهاده التأويلي، إلى توقع مفاده أن العمري يسعى إلى مصالحة التخييل والتداول من خلال اقتراح تعديل وتوسيع لنظرية البلاغة الجديدة، المعروفة بملاءمتها أكثر لتحليل الخطابات التداولية دون التخييلية.

إذا تجاوزنا هذا الإكراه المتصل بإيهام العنوان، جابهنا النص بحقيقته، والتي ليست سوى تفصيل لأطروحة العمري القائلة بإمكانية قيام بلاغة عامة، تصلح قوانينها وقواعدها للتطبيق على الخطابات كافة، تداولية كانت أو تخييلية. ولأجل ذلك وجدناه يستعرض المفاهيم المتعددة للبلاغة القديمة منها والحديثة، بادئا بـ «المفهوم الأرسطي الذي يخصصها لمجال الإقناع وآلياته، حيث تشتغل على النص الخطابي في المقامات الثلاثة المعروفة (المشاورة، والمشاجرة والمفاضلة)» (العمري، ٢٠٠٥: ١٢)، منتقلا إلى «المفهوم الأدبي الذي يجعلها بحثا في صور الأسلوب، المفهوم الذي استقر لها عبر تاريخ من الانكماش رسم بارت خطوطه العامة» (العمري، ٢٠٠٥: ١٢)، منتهيا إلى «المفهوم النسقي الذي يسعى لجعل البلاغة علما أعلى يشمل التخييل والحجاج معا» (العمري، ٢٠٠٥: ١٢). وهو المفهوم الذي يثمنه ويتبناه لتقاطعه مع رؤيته، وتطابقه مع مسعاه.

ولأجل تأصيل هذا المفهوم الأخير وإكسابه الوجاهة العلمية المطلوبة، يفتح العمري نقاشا مع بول ريكور وما جاء به من فصل بين الخطابية والشعرية والتأويلية. يقول: «في سياق الفصل بين الخطابية والشعرية فحص بول ريكور بعمق عناصر الالتقاء وعناصر الافتراق بين الشعرية والخطابية، في مقال مركز تحت عنوان: الخطابية، الشعرية، التأويلية. وهو مقال يتيح لنا عرضه ومناقشته أمرين: أولهما تبيّن عناصر التداخل وتدعيمها بمعطيات أخرى من المجال العربي، كما سيرد في آخر هذا الاستعراض مع حازم القرطاجني، والثاني مناقشة المستندات المعتمدة في الاحتجاج لعدم إمكان قيام بلاغة عامة» (العمري، ٢٠٠٥: ١٦).

وعليه لا يستدعي العمري مفاهيم البلاغة الجديدة إلا ليعترض عليها، كما اعترض على أطروحة ريكور، وإن كان ذلك من زاوية مختلفة، تتعلق بعدم كفاية هذه النظرية من الناحية التطبيقية، لاقتصارها على الخطابات التداولية ذات الأغراض العملية، وذات الطابع التواصلي المباشر.

يحيل العمري في كتابه المذكور، أول مرة إلى بيرلمان وتتيكا في معرض حديثه عن الدور الحجاجي للاستعارة، وشروط إدماجها في الحجج القائمة على التماثل L'analogie، نجد ذلك في قوله: «وقد انتبه بيرلمان وأولبريشت تيتيكا إلى ذلك وحسماه في سياق الحديث عن الاستعارة، وذلك حين استبعدا التوجه التفاعلي في تفسير عمل الاستعارة، كما دافع عنه ريتشاردز Richards في كتابه فلسفة البلاغة، ولم يفت المؤلفين أن يذكرا هناك بأنهما يتبنيان مفهوم المشابهة كما بسطته البلاغة القديمة؛ الأرسطية على وجه التحديد» (العمري، ٢٠٠٥: ٢٧). ولا يختلف موضوع هذه الإحالة كثيرا عن موضوع الإحالة الثانية التي يعمد فيها العمري إلى محاولة التقريب بين تمييز بيرلمان بين صورة التعبير الحجاجية والصورة التحسينية، وتمييز ابن المعتز بين البديع والبيان في التراث البلاغي العربي القديم (العمري، ٢٠٠٥: ٤٤). وفي هذا التقريب تعسف واضح؛ ذلك أن تمييز بيرلمان قائم على النظر في الوجه البلاغي نفسه استعارة أو تشبيها في حال استعماله، ثم الحكم على حجاجيته من عدمها، في حين يقوم تمييز البلاغة العربية القديمة على فصل جوهري بين وجوه للبيان ووجوه أخرى للتحسين.

وفي موضع آخر من الكتاب، يستدعي العمري بيرلمان مرة أخرى، عندما يأخذ في تحديد توجهات الدراسات البلاغية المعاصرة عند الغرب ومناقشتها، دائما في إطار الاعتراض على استقلالية البلاغات الخاصة وتثمين فكرة البلاغة العامة وتثبيتها، وإمكانية تجسيدها. هذه التوجهات في نظر المؤلف ثلاثة: التوجه الحجاجي/ المنطقي (أو الفلسفي)، والتوجه الأسلوبي/ الأدبي (أو الشعري)، والتوجه الخطابي/ السيميائي (أو النصي) (العمري، ٢٠٠٥: ٦٦)؛ الأول والثاني يبدوان متناقضين «أحدهما يجر البلاغة نحو المنطق عبر الجدل، والثاني يجرها نحو الشعر عبر الأدب» (العمري، ٢٠٠٥: ٦٦). أما الاتجاه الثالث فيحاول «تجاوز هذه الازدواجية طامحا إلى تغطية المجال التواصلي بشكل عام، معتمدا الخطاب» (العمري، ٢٠٠٥: ٦٦). وغير خاف هنا تطابق هذا التقسيم مع التقسيم السابق الذي اقترحه العمري في مستهل كتابه، الذي كان موضوعه مفاهيم البلاغة الثلاثة التي تحولت هنا إلى توجهات. ويهمنا في هذا التقسيم أن نعرف أيّ مكان يخصصه المؤلف للتوجه الحجاجي المنطقي الذي يقصره عامدا على نظرية البلاغة الجديدة البيرلمانية، وما وجه الاعتراض الذي يبديه على طروحاتها.

يسعى العمري إلى حصر البلاغة الجديدة في مجال تحليل الخطابات التداولية، وربطها بالمنطق والفلسفة، تمهيدا للاعتراض عليها بتهمة القصور عن تقديم قواعد كلية صالحة لمختلف أنماط الخطاب. يقول معلقا: «وإذا وضعنا الكتاب في السياق المعرفي العام حيث مدّت البلاغة نحو الجدل في سياق قراءة خاصة تساهم فيها أعمال أخرى للمؤلفين (منها كتاب إمبراطورية البلاغة لبيرلمان)، جاز أن نرجح الاعتبار الأول: الحجاج هو البلاغة، إذ ما ليس حجاجا بالمعنى الذي يرتضيه المؤلفان سينتمي إلى أحد القطبين: السفسطة أو البرهان» (العمري، ٢٠٠٥: ٦٨).

ولا يجد العمري بعد هذا، مجالا آخر للطعن على هذه النظرية – بعد الحديث عن تخصصيتها (اقتصارها على التداول) - سوى ما يتعلق بجزئيات لا صلة لها بمسعاه الهادف إلى التبشير ببلاغة عامة، كأن يأخذ على هذه النظرية إهمالها لخصوصيات الخطاب الشفوي، مشيرا إليها ضمن «الجوانب التي تتضمن توسيعا وتضييقا في الوقت نفسه للمتن (أو المدونة)، حيث يتم إهمال خصوصيات الخطاب الشفوي واستيعاب الخطاب المكتوب اقتصارا على الحجج المقنعة فيهما معا الموصلة إلى الإذعان. ويكمن

وراء هذا الإجراء عدم إيلاء أهمية كبيرة للمحافل الخطابية في مقابل الامتداد إلى المحاجة الخاصة؛ مع شخص واحد أو حتى مع الذات؛ يتداول المرء مع نفسه حول الـ «مع» و«الضد» لاختبار مدى قيمة أطروحة وصلابة حجة» (العمري، ٢٠٠٥: ٧٠). وفي هذا لعمري ما يناقض الفكرة الأساسية التي بنى عليها المؤلف أطروحته، وهي مقوله التعميم والكلية التي يفترض وجودها في أيّة نظرية تسعى إلى استيعاب كل أنماط الخطاب. كيف يتحقق ذلك إذا وقفنا عند خصوصيات الخطاب الشفوي (المؤثرات غير اللغوية)؟ فضلا على أن إهمالها عند بيرلمان ينسجم تماما مع توسيعه لمجال تطبيق قواعد البلاغة الجديدة على مختلف أنماط النصوص شفوية كانت أو كتابية. يقول بيرلمان: «بالفعل، أنا أهتم بمختلف أنواع الحجج بوصفها عناصر مكونة للدليل، وموجهة للإقناع والحمل على الاعتقاد، دون إيلاء أهمية لكونها تُقدّم شفويا أو عن طريق الكتابة. وهذا ما يجعلني أتجاهل كلية كل ما يتعلق بالممارسة الشفوية» (Perelman, 1988: 13).

وكان حريا بالعمري أن يكتفي بالوصف المحايد للممكنات النظرية مفاهيميا وتطبيقيا، دون الحاجة إلى نقد النظرية في ذاتها، ومحاولة تجريدها من الوجاهة والصلاحية في مجال تخصصها، أي في مجال الخطابات التداولية، وإلا فما معنى أن ينسى المؤلف موضوعه، محوّلا النقاش إلى وجهة أخرى بعيدة مرة أخرى عن مسعاه التنظيري الموسع، الطامح إلى العمق، وإلى التفاعل مع العلوم الإنسانية المختلفة التي عنيت بتحليل الخطاب، ودراسة النصوص. تأمل قوله: «ليس مما يناسب سياق هذا الحديث مناقشة هذه النظرية في جوهرها، فهذا من اختصاص جيرانها من المناطقة والتداوليين الذين اهتموا بها طوال العقود الخمسة التي مضت على ظهورها» (العمري، ٢٠٠٥: ٧١). ماذا يسمي المؤلف مناقشته لهذه النظرية، إن لم تكن مناقشة في الجوهر، اتجهت إلى أهم الأسس المعرفية والخلفيات النظرية والتاريخية التي قامت عليها؟ وما الذي يفرز لنا فرزا دقيقا بين ما ينبغي أن يناقشه المناطقة والتداوليون والفلاسفة من جهة، وما ينبغي أن يناقشه اللسانيون والبلاغيون والنقاد من جهة ثانية؟ ماذا نصنع بمقولة التفاعل بين التخصصات؟

٥- الاسترشاد المفاهيمي في التطبيقات النقدية:

أتاحت عملية تبيئة نظرية البلاغة الجديدة التي امتدت على مدى خمس عشرة سنة (١٩٨٥-٢٠٠٠) للعديد من الباحثين العرب، أن يمتلكوا خلفية نظرية كافية للاسترشاد بها في إنجاز تطبيقات نقدية على نصوص مختلفة، لا سيما النصوص التراثية، فكان أن ظهر العديد من الدراسات، التي أشرنا إلى بعضها في موضع سابق. وسنقوم فيما يأتي بتقديم مثال عنها من خلال كتاب (الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل) لعلي الشبعان.

لا يصرح الباحث في كتابه المذكور بما يفيد أنه يعتمد اعتمادا كبيرا على مفاهيم نظرية «البلاغة الجديدة» في دراسته التطبيقية التي خصصها لدراسة ثلاثة نصوص تفسيرية لسورة البقرة، افترض تمثيلها لما سماه مجاري ثلاثة: مجرى الرواية والأثر، ونموذجه الطبري، ومجرى الدراية والنظر، ونموذجه الزمخشري، ومجرى الإشارة والبصر، ونموذجه ابن عربي (الشبعان، ٢٠١٠: ٢١). بل إنه يذهب أبعد من ذلك في عدم التصريح بها، عندما يزعم في مستهل دراسته عدم ارتهانه لمنوال واحد، وتأكيد ذلك في أكثر من موضع. نجد ذلك صريحا في قوله: «لذلك لم يكبح جماح حركتنا في هذا الكتاب، منوال دون غيره، لاعتقادنا في عدم كفاية تلك المناويل كفاية مطلقة تجعلها أرثوذكسا مصونا لا يقبل الخلخلة ولا يستجيب إلى التطويع» (الشبعان، ٢٠١٠: ١١). ونجده في موضع آخر غير بعيد، يعيد القول: «وهو ما حتم علينا أن نتسلح بعدة منهاجية وبخلفية نظرية، تمثلها المناويل الموظفة، انحكمت بالتعدد واتسمت بالتكثر واختصت بالتنويع، حتى لا تأسرنا محاصيلها ولا تكبل حركتنا أقاويلها، فيتحول المبحث المطروق إلى تمرين واختبار قد لا يؤدي حقائق تلك المتون، بل ينثر أشكالها المنظومة ويطمس حكمها المرمزة، فلا يبقى إلا التوهم، يوجه نظر الباحث عن أسرار تلك المدونات، تغريه هيئاتها وتضلله رسومها» (الشبعان، ٢٠١٠: ٢٢). ولا يفوته أن يعود في هامش الصفحة الموالية لتأكيد زعمه، فيما يشبه البيان الذي يعلن المبادئ ويلح على التمسك التام بها، من خلال قوله: «إن الوعي بأصول هذه المقاربات، باعتبارها عقائد علمية، يجعلنا نتوسل بها جميعا لا حرج ولا ضيق، لأننا نعي الوعي كله أن تلك المقاربات إنما تهدي المسار التأويلي وتنير المسلك التفسيري ولا يمكن أن تكون غاية في ذاتها، لأنها خطابات مظروفة بأسيقة نشأتها، محاطة بملابسات ميلادها ومن ثمة وجب علينا أن نوظف تلك المناويل وأن نشغل تلك المقاربات، من جهة كونها، عقائد، يعتقد فيها لا حقائق يختشى منها وهو ما دعانا في مقامات عديدة إلى محاورة أحكامها والانقضاض على تعاليمها، حتى لا تكبل حركتنا ولا تقيد مسعانا في استخراج الخواص الحجاجية من المتون التفسيرية الممثلة وما يثوي وراءها، بما هي خطابات، من خطط واستراتيجيات يرتجي المحاج/ المؤول، إقناع الناس بها، كي تغدو عقائد وتصير أحكاما» (الشبعان، ٢٠١٠: ٢٣).

نورد هذه الأقوال بنصها وحرفيتها، لتكون مستندا لنا في التعليق الذي نعتزم إيراده لاحقا، بوصفنا متلقين عربا، يهمنا كثيرا أن نجد في أعمال الباحثين العرب ما يسد حاجتنا في مجال التفاعل مع المناهج الغربية، وغاية ما يتشوف إليه أحدنا هو أن يكون المنجز العربي الناتج عن النقل والترجمة والتبيئة والاستلهام والاسترشاد، قائما بواجبات أساسية، أدناها الالتزام بالمعلن عنه من مبادئ نظرية عند التطبيق على المدونات. إن متابعة القراءة وفحص سيرورة التحليل، وما رافقها من استحضار للمفاهيم، يكشف لنا أن تلك الأقوال كانت أقرب إلى الشعار والدعوى المجانية، منها إلى المبادئ المتجسدة في الإنجاز.

نحمل في أذهاننا هذه الصورة للتوجه المنهجي المتبنى عند هذا الباحث، ونتجه إلى قراءة الفصول التطبيقية، فيتكشف لنا أنه لم ينوّع المناهج، ولم يكثّرها، ولم يدمج بعضها في بعض، بل إنه على النقيض من ذلك ظل مكبّلا بنظرية واحدة في معظم ما أنجزه من تطبيقات على النصوص التفسيرية المذكورة، ولم يحل في القليل

المتبقي إلى أي نظرية حجاجية معروفة. وفيما يأتي تفصيل ذلك. يخصص الباحث القسم الأكبر من دراسته للتطبيق على النصوص الثلاثة التي تضمنت تفسير سورة البقرة، ضمن الباب الثاني ويشغل ذلك ٣٨٥ صفحة من مجموع ٤٩٨ (ص ٧٥ - ٤٦٠). تتوزعها ثلاثة فصول، تناسب النصوص الثلاثة التي تمثل مدونة البحث. يعلن الباحث منذ بداية الباب الثاني اعتماده على العرض التعريفي الذي قدم عبد الله صولة من خلاله كتاب بيرلمان وتتيكا. وهذا نص قوله الوارد في الهامش توضيحا لتشابه عنوان المبحث مع عنوان مقالة صولة: «لقد استلهمنا هذا الاختيار المنهجي، لدراسة الحجاج في جامع البيان عامة وفي تفسير سورة البقرة خاصة من مقالة صولة (عبد الله)، الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال «مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة» لبيرلمان وتتيكا، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم... كما أضفنا إلى تلك المداخل الثلاثة مدخلا رابعا سميناه الاستراتيجيات الحجاجية، من جهة ما لهذا المدخل من وظائف وأدوار في فك مغالق المدونات التفسيرية/ التأويلية... كما يمكن أن تلمس أصداء هذا المنهج في كتاب:Perelman, L'empire rhétorique (...) » (الشبعان، ٢٠١٠: ٨٩).

اللافت للنظر هو أن الباحث لا يحيل في هذا الباب المخصص للتطبيق إلى أيّة مرجعية نظرية أخرى، مما يؤكد ملاحظتنا السابقة بوجود هوة كبيرة بين المنطلقات المنهجية التي تبناها (خيار التكامل المنهجي وتعدده)، والشكل الذي أخذه التطبيق في ارتهانه إلى مرجعية نظرية منهجية واحدة؛ هي نظرية البلاغة الجديدة. بل إن الباحث يعتمد على وسيط- كما أخبر هو بذلك، وكما تدل عليه هوامش البحث- بينه وبين كتاب بيرلمان وتتيكا؛ هذا الوسيط هو العرض التعريفي الذي ألفه عبد الله صولة (سبق تناوله في هذا البحث). يضاف إلى ذلك أننا لو تجاوزنا للباحث هذا التفاوت بين المدعى والمنجز (التعدد/ الواحدية)، فإننا لا نستطيع أن نتجاوز له الآلية التي طبعت تطبيقه لمفاهيم البلاغة الجديدة، فهو لم يتمكن من بناء نموذج تحليلي خاص به، ملائم لطبيعة بحثه وأهدافه، بل راح يتتبع تسلسل هذه المفاهيم كما جاءت في العرض التعريفي المذكور، الذي يحاكي –وهو (صولة) غير ملوم في ذلك- تسلسلها في الكتاب الأصل المعرف به.

نقرأ في متن البحث، في الباب الثاني، الفصل الأول، العناوين الآتية: الحجاج في جامع البيان: أطره ومنطلقاته وتقنياته واستراتيجياته: الأطر الحجاجية (ص٨٩) المنطلقات الحجاجية: الأنواع والأشكال –المقدمات الحجاجية/ الاختيار وطرائق العرض (ص٩٦-١٢٥)، التقنيات الحجاجية: التقنيات الحجاجية القائمة على قانون الاتصال: الحجج شبه المنطقية... الحجج المؤسسة على بنية الواقع –الحجج المؤسسة بنية الواقع.... الطرائق الانفصالية (ص١٢٦-١٨٦). وهو التسلسل الذي نجده في العرض التعريفي لعبد الله صولة على النحو الآتي: أطر الحجاج (ص٢٩٩)، نقطة الانطلاق في الحجاج (ص٣٠٧)، التقنيات الحجاجية (ص٣٢٤): الطرائق الاتصالية: الحجج شبه المنطقية –الحجج المؤسسة على بنية الواقع- الاتصال المؤسس لبنية الواقع (ص٣٢٥-٣٤٣)، الطرائق الانفصالية في الحجاج: الفصل بين المفاهيم (ص٣٤٣-٣٤٨) (صولة، د.ت، ص٢٩٩-٣٤٨).

ولا يخرج تطبيق المفاهيم التفصيلي عن عملية الغدو والرواح بين نقطتين أو معلمين: أولهما المفهوم النظري المجتلب غالبا من مقالة صولة المذكورة، وثانيهما العيّنة المختارة من المتن التفسيري للتطبيق. نعرض فيما يأتي نموذجا لهذا التطبيق الآلي: بعد تعريفه للحجج شبه المنطقية اعتمادا على مقتبس من مقالة صولة، يعلق الباحث دون أن يحيل، بقوله: «إن تقنية اعتماد الحجج شبه المنطقية تقنية لافتة حضورا وتواترا في تفسير الطبري سورة البقرة خاصة، وحتى نقف على مجلى هذه التقنية ننتخل من تفسير الطبري سورة البقرة ما يتفق من النماذج وتلك التقنية من مواطن مختلفة ومن مواضع متباينة حتى نقيم الحجة على حضورها وتواترها كما ودلالة ولكن الحجج شبه المنطقية لا تعتمد نفس القوانين، إذ منها ما يعتمد البنى المنطقية ومنها ما يعتمد العلاقات الرياضية» (الشبعان، ٢٠١٠: ١٣٥). ثم يعود إلى استكمال الإضاءة النظرية بتمييز الأصناف الفرعية للحجج شبه المنطقية، قبل أن يعكف على التطبيق الذي وعد به، عقب إيراد كل صنف. فبعد إيراده تعريف الحجج القائمة على التناقض وعدم الاتفاق، اختار للتطبيق مقطعا من تفسير الطبري، قائلا: «وهذا الصنف من الحجج شبه المنطقية يمكن أن يقف عليه الدارس دون عناء، نظرا إلى تواتره واطراده في كل قول وداخل كل تخريج وإليك على ما ندعي مثالا/ حجة يمكن التقدير ويجيز الزعم ويثبت الادعاء، لذلك نجرد ما أورده الطبري من قول في تأويل (ألم) في المراحل التالية: «قال أبو جعفر....فقال بعضهم... وقال بعضهم... وأما أهل العربية فإنهم اختلفوا... والصواب من القول عندي... والوجه الثالث من خطئه» إن هذا المثال وغيره في الكتاب كثير يرسم لنا طريقة الطبري في إقامة الدليل على صحة مذهبه ووجاهة تأويله ونهاية تعليله...» (الشبعان، ٢٠١٠: ١٣٦-١٣٨). لا نكاد نفهم من هذا الكلام انطباق تعريف صنف الحجج شبه المنطقية القائمة على التناقض وعدم الاتفاق، عليه، وإن الباحث يتركنا على ظمئنا فيما يتعلق بتوضيح كيفية اشتغال هذا الصنف من الحجج، وإنتاجيته في مقامات الحوار والمناظرة والجدال، طالما أنه بصدد تقديم اتجاهات تفسيرية يحاور بعضها بعضا، ويعترض بعضها على بعض، اعتراضات تصل أحيانا إلى حد تبادل تهم التكفير والتفسيق والتضليل. فضلا على أن المثال المختار لا يريد به صاحبه استخدام تناقض الآراء، لإثبات جواز الاختلاف، وقبول تعدد الآراء، بقدر ما يريد أن يخطئ بعضها وينحاز إلى بعضها الآخر ليبني أطروحة قائمة على الترجيح.

٦- خاتمة:

نخلص من معالجتنا لموضوع التلقي العربي لنظرية البلاغة الجديدة في هذا البحث، إلى تأكيد النتائج الآتية:

٦- ١ إن أدواء الترجمة ظاهرة بوضوح في أعمال الباحثين العرب المتفاعلين مع نظرية البلاغة الجديدة، رغم ما تميز به هذا التفاعل من تقبل وحسن تلق عند الباحثين وجمهور القراء، ويأتي على

رأس هذه الأدواء تعدد المصطلح وتبعثره، والارتهان المعجمي للغة الأجنبية المنقول عنها، وإهمال البعد السوسيو ثقافي والمقاربة النصية في عملية الترجمة عامة، وفي اقتراح البديل المصطلحي العربي خاصة.

٦- ٢ إن ترجمة مصطلحات نظرية البلاغة الجديدة، وما شابها من قصور سببته آفات الترجمة المذكورة آنفا، كشف لنا بوضوح أن الحركة الثقافية عامة في العالم العربي تفتقد إلى ركيزة أساسية تقوم عليها عملية التراكم المعرفي؛ وهي فضيلة الحوار الجاد والملتزم الذي يكفل لمخرجات البحث العلمي أن تتكامل، وأن تكون منسقة وموحدة، تغني الإنتاج الثقافي وتتقدم به إلى الأمام، وتتيح له الاستثمار الأمثل للجهود الضخمة التي تتجه أحيانا كثيرة إلى تكرار الطروحات واجترارها، وتخوض في خصومات شخصية وأيديولوجية لا مكان لها في دائرة البحث العلمي الجاد والمخلص.

٦- ٣ لم يكن الاستدعاء التنظيري لمفاهيم هذه النظرية موفقا وفعالا بالصورة المأمولة، فزيادة على التأخر الكبير، في التعريف بنظرية البلاغة الجديدة -وهو ما يصدق على غيرها من النظريات في حقول المعرفة كلها تقريبا- لحظنا من خلال التحليلات التي حملها البحث الاختلالات التي شابت شكل التلقي الذي أسميناه الاستدعاء التنظيري، فالتعريفات الأولية عابها الاضطراب المصطلحي، وحال دون الاستفادة الحقة منها تأخر الترجمة العربية للنص المؤسس (كتاب بيرلمان وتتيكا: مصنف في الحجاج البلاغة الجديدة، ١٩٥٨، الذي يكون قد ترجم بعد سنة ٢٠١٠)، زيادة على شح الدراسات التي كان من المفترض أن تنجز حوله، كما حصل في العالم الغربي، الذي دأب مثقفوه على التعاطي الحواري المتواصل مع قضايا المعرفة، بصورة قد تصيب أحدنا بالذهول حين يقوم بمجرد رصد بيبليوغرافي لحركتها في مدّة زمنية قصيرة، لا تتجاوز السنة الواحدة.

٦-٤ تأثر الاسترشاد التطبيقي بهذه النظرية، رغم وفرته في السنين الأخيرة، تأثرا واضحا بضحالة البحوث النظرية، وعدم عمقها، وتوقفها عند حدود التعريف الأولي، الذي لا يفتح المجال للمناقشة والاعتراض والتطعيم بالعناصر المحلية التراثية والمعاصرة. فلم تنتج حركة التنظير العربية المهتمة بنظرية البلاغة الجديدة صيغة عربية يعتد بها، تكون قادرة على التغلغل في الوعي المعرفي العربي، فتتيح للباحثين العرب تشرب عناصرها وتمثل مفاهيمها على نحو يسمح لهم بحسن طرح إشكاليات أبحاثهم، وتصور فرضيات معالجتها، وبناء سيرورات التحليل الملائمة لها. وقد رأينا من خلال النموذج المدروس في هذا البحث (الشبعان، ٢٠١٠) إلى أي مدى يتعسر التحليل التطبيقي عندما تكون المرجعية النظرية غير متبلورة، وفاقدة للثراء المعرفي والضبط المنهجي.

المراجع:

المراجع العربية

فرانسيس، إدلين (مجموعة مو)، ١٩٩٢، بحث في العلامة المرئية - من أجل بلاغة الصورة، ط١، ترجمة سمر محمد سعد، ٢٠١٢، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

بروتون، فيليب؛ جوتييه، جيل، ٢٠٠٠، تاريخ نظريات الحجاج، ط١، ترجمة محمد صالح ناجي الغامدي، ٢٠١١، مركز النشر العلمي (جامعة الملك عبد العزيز)، جدة –السعودية.

بلانتان، كريستيان، ١٩٩٦، الحجاج، د ط، ترجمة عبد القادر المهيري، ٢٠٠٨، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا للنشر، تونس.

بيجوان، هنري؛ تواررون، فيليب (تحت إشراف)، ٢٠٠٠، المعنى في علم المصطلحات، ط١، ترجمة ريتا خاطر، ٢٠٠٩، المنظمة العربية للترجمة - مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

حمودة، عبد العزيز، ٢٠٠٣، الخروج من التيه- دراسة في سلطة النص، د ط، سلسلة عالم المعرفة رقم ٢٩٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

الدريدي، سامية، ٢٠٠٧، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري بنيته وأساليبه ط١، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن.

الدريدي، سامية، ٢٠١٢، أدب الحيوان عند العرب: قص وحجاج، ط١، مركز النشر الجامعي، منوبة– تونس.

الدهري، أمينة، ٢٠١١، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ط١، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء- المغرب.

ديكرو، أوزوالد؛ سشايفار، جان ماري، ١٩٧٢، القاموس الموسوعي الجديد في علوم اللسان، ترجمة منذر عياشي، د ت/ طبعة منقحة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

ديكرو، أوزوالد؛ شافار، جان ماري، ١٩٧٢ و١٩٩٥، المعجم الموسوعي الجديد في علوم اللغة، د ط، ترجمة عبد القادر المهيري- حمادي صمود، ٢٠١٠، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا للنشر، تونس.

روبول، آن؛ موشلر، جاك، ١٩٩٨، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ط١، ترجمة سيف الدين دغفوس- محمد الشيباني، ٢٠٠٣، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

الريفي، هشام، د ت، بحث «الحجاج عند أرسطو»، (فريق البحث في البلاغة والحجاج/حمادي صمود): نظريات الحجاج في التقاليد

الغربية من أرسطو إلى اليوم (كتاب جماعي)، سلسلة: آداب، المجلد XXXIX، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس١- كلية الآداب منوبة، د ط، الصفحات: ٤٩- ٢٩٦.

شارودو، باتريك؛ منغونو، دومينيك، ٢٠٠٢، معجم تحليل الخطاب، د ط، ترجمة عبد القادر المهيري- حمادي صمود، ٢٠٠٨، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس.

الشبعان، علي، ٢٠١٠، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل (بحث في الأشكال والاستراتيجيات)، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.

صمود، حمادي، د ت، بحث «مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح»، (فريق البحث في البلاغة والحجاج/ حمادي صمود): نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم (كتاب جماعي)، سلسلة: آداب، المجلدXXXIX ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس١- كلية الآداب منوبة، د ط، الصفحات:١١-٤٨.

صولة، عبد الله، ٢٠٠٧، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط٢، منوبة - تونس، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات.

صولة، عبد الله، د.ت، بحث «الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال «مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة « لبرلمان وتتيكا»، (فريق البحث في البلاغة والحجاج/ حمادي صمود): نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم (كتاب جماعي)، سلسلة: آداب، المجلد XXXIX، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس١- كلية الآداب منوبة، د ط، الصفحات: ٢٩٧-٣٥٠.

الطلبة، محمد سالم محمد أمين، ٢٠٠٨، الحجاج في البلاغة المعاصرة- بحث في بلاغة النقد المعاصر، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان.

عصفور، جابر، ١٩٩٨، نظريات معاصرة، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن «مهرجان القراءة للجميع» القاهرة.

علوش، سعيد، ١٩٨٥، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة/ عرض وتقديم وترجمة، ط١، دار الكتاب اللبناني بيروت - سوشبريس الدار البيضاء.

العمري، محمد، ٢٠٠٢، في بلاغة الخطاب الإقناعي/ مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا، ط٢، إفريقيا الشرق – الدار البيضاء.

العمري، محمد، ٢٠٠٥، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، د.ط، إفريقيا الشرق – الدار البيضاء.

فاركلوف، نورمان، ٢٠٠٣، تحليل الخطاب - التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ط١، ترجمة طلال وهبه، ٢٠٠٩، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

فضل، صلاح، ١٩٩٢، بلاغة الخطاب وعلم النص، د.ط، سلسلة عالم المعرفة، رقم١٦٤، المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، الكويت.

المرزوقي، أبو يعرب، ٢٠١٢، أشياء من النقد والترجمة، ط١، دار جداول، بيروت.

مشبال، محمد، ٢٠١٠، البلاغة والأدب- من صور اللغة إلى صور الخطاب، ط١، دار العين للنشر، القاهرة.

مورو، فرانسوا، ١٩٨٢، البلاغة المدخل لدراسة الصور البيانية، ط٢، ترجمة محمد الولي – عائشة جرير، ٢٠٠٣، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب.

- موشلر، جاك – روبول، آن، ١٩٩٤، القاموس الموسوعي للتداولية، د ط، ترجمة مجموعة من الأساتذة/ إشراف عزالدين المجدوب، ٢٠١٠، المركز الوطني للترجمة، تونس، منشورات دار سيناترا للنشر.

المراجع الأجنبية

BARTHES, Roland, 1970, « L'ancienne rhétorique] Aide-mémoire[», in: Communications ,16, Recherches rhétoriques. pp172-223

CANON-ROGER, Françoise, 2009/1, « Traduction et réélaboration interprétative», in: Revue française de linguistique appliquée, (Vol.XIV),pp 25-38

CLEDAT, Léon, 1914, Dictionnaire étymologique de la langue française, 3éd, Librairie Hachette et Cie, PARIS

GAUDIN, François, 2003, Socio terminologie - une approche sociolinguistique de la terminologie, «Champs linguistiques», De Boeck Supérieur, Bruxelles

LE GUERN, Michel, 1989, « Sur les relations entre terminologie et lexique », in: Meta: journal des traducteurs, vol. 34, n° 3, pp 340-343

PERELMAN, Chaim et OLBRECHTS- TYTECA, lucie,

1988, Traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique ,5eme édition, université de Bruxelles

ZUBER, Roger, 2007/3, « Rhétorique et belles-lettres », in: Dix-septième siècle (n°236), pp 427-432